العوامل الحجاجية وأثرها في توجيه المعنى وتضييقه

م.د وسن عبد علي عطية
جامعة القادسية /كلية التربية
Wasan.abdali@qu.edu.iq

تأريخ الطلب: ١/ ٨/ ٢٠٢١
تأريخ القبول:٢٥/ ٨/ ٢٠٢١

الخلاصة:

تعد العوامل الحجاجية من الموجهات الرئيسة للخطاب ؛ فهي تحصر التأويلات والاستنتاجات في الخطاب ، وتضييق المعنى وتوجهه نحو نتيجة واحدة متوقعة، فقد يحمل الخطاب أكثر من قراءة عند المتلقي ؛ بسبب مرجعياته الثقافية ، والاجتماعية المتنوعة، لذا يلجأ منشئ النص لهذه العوامل بهدف التقيد والحصر ، وتحديد الوجهة الحجاجية ، وقد حاولنا في هذا البحث بيان الدور الفاعل لهذه العوامل .

Abstract

Pilgrim factors are one of the main directives of the discourse; Pilgrim destination, we have tried in this research to demonstrate the active role of these factors by introducing the pilgrim factor in the deliberative concept, indicating after the pilgrims persuasive factors of negation, and minors.

المقدمة

يتبوأ الحجاج منزلة رفيعة في الدرس التداولي الحديث مردها إلى أن التداولية تهتم بالنشاط اللغوي وعلاقته بمستعمله – أي تهتم بالتقنيات اللغوية وغير اللغوية – واستظهار القدرة الانجازية للفرد هذه القدرة ، هي النقطة المشتركة بين التداولية والحجاج "إذ لا يكون النظر إلى التقنيات اللغوية في الدرس التداولي والحجاجي من زاوية الصحة النحوية أو سلامة التركيب، بل من خلال فاعليتها الحجاجية وربطها بالإنجاز"[١] ، إذ لطبيعة النص الدور الأساس في إكساب لغته بعداً حجاجياً

من عدمه[٢] ،فهي الموجه له؛ لأن الحجاج قائم على التوجيه في نظر ديكرو المؤسس لنظرية الحجاج، فالتوجيه الحجاجي يوضح العلاقة بين النص الحجاجي ، والقارئ أو المستمع، ويرسم للمتلقي مسالك فك الشفرة ، ويوجهه أثناء عملية التأويل والبحث عن المعنى[٣]، وتعمل العوامل الحجاجية على تقوية هذا التوجيه والقضاء على الاستلزامات التي تفضي إلى تعدد النتائج عند المتلقي[٤] ، وسيقف البحث في بيان دور العوامل من خلال مطلبين الأول التعريف: بالعامل الحجاجي في المفهوم التداولي بكونه عنصراً لغوياً يحدد القضية الرئيسة للخطاب ،والمطلب الثاني: البعد التداولي للعوامل الحجاجية المتمثلة أولاً : بالعناصر الداخلة على الاسناد الجملي عاملي ١- النفي ، ٢- القصر، وثانياً : العوامل المعجمية مثل ، كاد،و ربّما ، وأقل ،وأكثر ، وعلى الرغم من تنوع العوامل الحجاجية لكنها تسعى إلى إقناع المتلقي ،لذا اتخذ البحث من المنهج الوصفي التحليلي والمجال اللغوي الحجاجي ميداناً تطبيقياً لإبراز هذه الفاعلية.

المطلب الأول : المفهوم التداولي للعامل الحجاجي:

يذكر قيقليون ثلاثة تعريفات للعامل الحجاجي :

الأول: على أنه (علامة ، ورقعة ، وبطاقة) ، إذ يرى أنه يوجد في كل لغة مجموعة من العناصر تتمم لعبتها الحجاجية وتحقق وظائفها الاتصالية، هذه العناصر يمكن أن نطلق عليها تسمية العوامل.

الثاني: عدَّ العوامل الحجاجية أدوات لغوية تساعد المتلقي في فهم الخطاب وإقناعه بكونه واقعاً وحقيقياً من قبل الباث ، إذ لا يتحقق الإقناع إلا عبر هذه الأدوات.

الثالث : هو بمثابة التعريف الجامع ، إذ يعد العامل الحجاجي العماد في عملية التواصل ، والمحرك الرئيس في الخطاب الإقناعي ، فغاية كل خطاب الإقناع، فلا وجود لخطاب من دون غاية إقناعية.[٥]

ومن خلال ما ذكره قيقليون عن مفهوم العامل الحجاجي ، يمكننا القول إنّه يقرُ بوجود عوامل في اللغة تساعدها في أداء دورها الحجاجي ووظيفتها التواصلية ، لكن وجود هذه العوامل مقرون داخل الوحدات السياقية للخطاب ، فإذا ما أفردت خارج السياق فقدت تأثيرها

الإقناعي وفعّاليتها الحجاجية ، فهذه الأدوات قيدت وحصرت الغاية الرئيسة من الخطاب ووجهته في وجهة محددة ، هذه الفكرة – الوجهة- اتفق عليها كل من ديكرو، وأنسكومبر، وريبول ، وموشلار على الرغم من اختلافهما في تعريف العامل الحجاجي فالآخرين ينطلقان من طبيعة عملهما المعجمية فالتوجيه الحجاجي عندهما مقرون بوجود عاملين حجاجيين ، أحدهما خطابي ، والثاني لساني[٦] ، أو أنها "مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل وتوجه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ" [٧] .

وقد يقع من بعض الباحثين توهم وخلط بين العوامل الحجاجية ، والروابط الحجاجية ، لاشتراكها في كونها من الأدوات والمؤشرات الحجاجية ، فالعوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة ، لكنها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية وتقيدها بقول ما ، وتضم مجموعة من الأدوات مثل: ربمَّا، كثيراً، قليلاً، كاد، ما، إلا، وجل أدوات القصر،[٨] هذه العوامل حددت وجهة الخطاب وضيقت الاستلزام والاستنتاج ،"الذي يُعين للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إن الوجهة الحجاجية هي خاصية من خصائص الجملة موضوع أداء القول وهي التي تحدد معنى القول ، وإن شئت قلنا :تُسند وجهة حجاجية ما إلى جملة ذات دالة في شكل حجة"[٩] ولإدراك العاملية الحجاجية ووظيفتها التوجيهية سنتخذ من عاملية أدوات النفي والقصر، والمكونات المعجمية مجالاً تطبيقياً يستظهر هذه الإمكانية.

المطلب الثاني : البعد التداولي للعوامل الحجاجية .

أولاً: العوامل الداخلة على الاسناد الجملي .

١: عاملية النفي : ادوات النفي في العربية هي (لا ، ولن ، وما ، وليس ، ولم)، نظر إليها ديكرو على أنها عوامل حجاجية ، يحقق فيها الباث الوظيفة الحجاجية للغة المتمثلة في إذعان المستقبل وتسليمه عبر توجيه الملفوظ[١٠]، لأن إدراج العامل في الكلام يقوي حجيته ، ويوجهها في مسار لا يحتمل اللبس في ذهن المتلقي، فكيف تؤدي العوامل وظيفتها؟ نجيب على هذا السؤال من خلال ذكر بعض الأمثلة .

١-لا أبرح اليوم مكاني.

٢-لن أبرح اليوم مكاني.

نلحظ بأن (لا ، ولن) ، من أدوات النفي، قد حصرت الامكانيات الحجاجية وقيدتها ، ووجهت المتلقي نحو نتيجة واحدة ، هي عدم مغادرة المكان لأي سبب كان، فالقيمة الإخبارية والابلاغية لم تختلف بين المثالين ، إلا أن القيمة والقوة الحجاجية اختلفت بين العوامل فإذا أردنا التوكيد والتشديد أدخلنا (لن) على الخطاب ، ومثله: قولك لصاحبك

١-لا أقيم غداً.

٢-لن أقيم غداً.[١١]

فالعامل هنا تجاوز قيمته الاخبارية إلى الحجاجية ، فالمثال الاول كان إخبار مع تقييد نتيجة ، والثاني إخبار، وتقييد ،وتوكيد في الوقت نفسه.

ولا يمكن إدراك القوة الحجاجية لعاملية النفي إلا بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيهها[١٢]، فعندما أقول مثلاً:

جاءني زيد لا عمرو

جاءني زيد ← المجيء من زيد

لا عمرو ← لم يكن من عمرو مجيء اليك.

قد ساعد عامل النفي على تقييد النتيجة " فهو كلام تقوله مع من يغلط في الفعل قد كان من هذا، فيتوهم أنه كان من ذلك"[١٣]، فالقوة الحجاجية لعامل النفي بدت واضحة في إيضاح اللبس ، والتوهم الذي قد يحصل عند السامع فلا يميز بين الجائي أكان زيداً أم عمراً، فقد حسم النتيجة وقيد الاستلزام بوجهة واحدة ، ورفع الشبه عن المخاطب في أنه ظن المجيء كان من عمرو فأعلمته أنه لم يكن من عمرو ولكن من زيد[١٤].

وكان ديكرو أثناء حديثه عن النفي كثيراً ما يركز على مفهوم "لماذا قال المتكلم ما قال ؟" ، لأنه يرى لكل لفظ وظيفة حجاجية؛[١٥] لأن المحاجج يسعى لتغيير فكرة قد ترسخت في ذهن المتلقي وإثبات غيرها، فعامل النفي نفى حجة وأثبت أخرى ، فعندما أقول مثلاً:

١-ما ضربتُ زيداً.

٢-ما زيداً ضربتُ .

يتضح الفرق في إبراز الوظيفة الحجاجية لكل ملفوظ ، وكيف ساهم في استبدال الحجج في ذهن المتلقي؟ ففي المثال الأول ينفي المتكلم فكرة أنه ضرب زيد التي استقرت عند المتكلم ، والمثال الثاني نفى

فكرة استقرت في ذهن المتكلم " أنَّ ضرباً وقع منك على إنسان ، وظن أن ذلك الإنسان هو زيد، فنفيت أ يكون إياه"[١٦] جلَّ ما ذكرناه من أمثلة وأقوال من المدونة اللغوية العربية هذا إن دلَّ عن شيء دلَّ على النضج الفكري المبكر للعقل العربي ، وأدراكه الأبعاد الحجاجية للغة بكل وحداتها اللغوية ، وأصبحت فكرة عاملية النفي الحجاجية أكثر استجلاءً ووضحاً، مما ذكره ديكرو الذي يعد مؤسس النظرية الحجاجية ، فعندما يعرض لبيان حجاجية النفي الذي شغل حيزاً من كتابه السلالم الحجاجية ينطلق من مثالين هما:

١- لم يقرأ جون جميع روايات بلزاك.

٢- قرأ جون بعض روايات بلزاك.

يذهب ديكرو أن المثال الأول موجه نحو نتيجة سالبة بأن جون لا يعرف بلزاك جيداً ، في حين أن المثال الثاني عكس ذلك[١٧]، ولا اتفق مع ما ذهب إليه ديكرو، فلم تختلف القيمة الإبلاغية في المثاليين،فالأثنين قد وجها إلى نتيجة إيجابية ، بأن جون يعرف بلزاك جيداً ، واعتقد بأن ديكرو لم يكن موفقاً في اختياره للمثال ، ولو قال:

١- لم يقرأ جون روايات بلزاك.

٢- قرأ جون بعض روايات بلزاك.

لصحَّ قوله الآنف الذكر ، يتضح أن ديكرو وجد صعوبة في المجال التطبيقي للمفاهيم التي وضعها ، لأسباب نجهلها، على عكس ما قدمناه من نضوج المفاهيم والتطبيقات في الفكر العربي، ولو أفرد الفكر العربي مصنفات لرؤياه هذه لسُجل السبق له ، وبعد هذا العرض لعاملية النفي ، أقول أن وظيفتها قد اتضحت بكونها جاءت لنفي حجة وإثبات غيرها، وتقييد وحصر النتيجة في ذهن المتلقي .

٢: عاملية القصر:

ضم ديكرو (القصر) ،إلى مجموعة العناصر والمؤشرات التي من شأنها تحدد وجهة الخطاب ، وتضييق دائرة التأويلات، والاستلزامات وقد وفَقَّ في هذا الجانب كثيراً، فالقصر بأداوته المتنوعة يحمل معنى التخصيص والتقييد، لأن جملة القصر تحمل نفي فكرة وإثبات أخرى عند السامع ، وكذلك تنفي الاشتراك ، وتبقى قصدية المتكلم هي المحدد الرئيس في اختيار الأسلوب المناسب في دعم وتثبيت حجية كلامه ، وعليه نلحظ تنوع أساليب القصر ، فكل أسلوب يدعم حجة تصب

في خدمة النص، ونعرض لهذه الاساليب وقصديتها في النص.

أ- القصر: (بالنفي والاستثناء)

لا ينشئ المتكلم خطابه إلا بقصد ، ومَنشئ القصدية يظهر بوساطة الاساليب، والادوات اللغوية التي يوظفها من خلال ملكاته ومهاراته اللغوية ، ويعد اسلوب القصر بالنفي والاستثناء منها، لأن المتكلم لا يأتي بهذا الأسلوب إلا عندما يكون المخَاطب معتقد عكس الرأي ، أو شاكاً به ، أو يعتقد الشركة بين أثنين أو أكثر في هذا الحكم[١٨]،وهذا الأسلوب يعمل على التخصيص ، وقصر الشيء بصحابه دون غيره مثال ذلك .

- ما جاءني إلا زيداً[١٩] _النتيجة___

١- حصر (زيد) بالمجيء ونفيه عن غيره.

٢ - رفع توهم الاشراك بحكم المجيء.

فالعامل الحجاجي هو من يرفع القيمة الحجاجية للحجة ، ويحدد الرتبة الحجاجية ،ويبين الوظيفة التوجيهية لها ، فعند قولنا:

١- ما ضرب زيداً إلا عمرو._____ تخصيص الضارب

٢- ما ضرب عمرو إلا زيداً ._____ تخصيص المضروب

ولا يمكن تحديد نتيجة الحجة إلا من خلال العامل الحجاجي ، لأن الاختصاص لا يقع إلا في الفاعل أو المفعول ، ولا يقع فيها جميعاً[٢٠]،هذا ما يؤكد" إن العامل الحجاجي يختص بقضية ذات موضوع واحد، ولعل النجاعة التي يحققها العامل الحجاجي تكمن في إطار ملحته على جواب واحد، وهو ما يقيده ويحصره ويقاربه إلى المتلقي ، وبهذا يحيط العامل بالحجة ويرفع من فاعليتها الحجاجية"[٢١] فالعامل الحجاجي يدعم القضية ، ويرفع من قيمتها الحجاجية والإقناعية ؛ لأن هدف المتكلم هو الاقناع وإثبات صحة حجته، كذلك يعمل العامل الحجاجي على اتساع الدائرة الحجاجية من خلال اعتماد المتكلم والمتلقي عليه ، في رد حجج ، أو تغيير مواقف بعضهم ، فالقصر بالعامل (إلا) يكون " رداً على كلام سابق، يدحض به المتكلم موقفاً مغايراً للمخاطب، أو مجموعة من المواقف المغايرة في آن واحد لأكثر من مخاطب

، ويثبت المعنى المراد تأكيده تأكيداً يقطع شك المخاطب ويزيله نهائياً"[٢٢]،مثال ذلك :

ما هو إلا زيد ـــــــــــ رداً على من أنكر أنه زيد .

فجاء المخاطَب بالعامل الحجاجي من أجل نفي فكرة المتكلم وردها عليه ، وتغيير موقفه الذي أصر فيه بأن القادم غير زيد ، وأنه شخص أخر، فأثبت رؤيته ونفى ما دونها ، وضيق توجيه خطابه نحو نتيجة واحدة، وانتج لنا بنية قصرية تتضمن حكميين متناقضين ؛ لهدف وغاية هما : الاثبات والنفي.

ب– القصر بـ (إنما):

قد أسلفنا الذكر بأن لكل عامل حجاجي طاقته وقدرته التوجيهية الحجاجية في الخطاب ، ويلجأ المتكلم لاختيار ما يناسب الموقف من العوامل ، بقصد الاقناع وإثبات حجته،هذا المنحى يسوقنا للحديث عن العامل الحجاجي (إنما) ، التي أمتازت بالاتساع الوظيفي المفهومي الدلالي ، والتركيبي عن غيرها من العوامل ، هذا الاتساع جاء نتيجة تركيبها الذي ضم في الأصل كل من (إنَّ المشددة + ما النافية الكافة) ، ووضعها في قالب وظيفي جديد متمثل في نقل وتغيير اختصاص كل من الحرفين، فتسع مجال (إن) الحرفية للدخول على الجمل الفعلية، ونقل (ما) النافية في التركيب النحوي إلى النفي المفهومي فقد اختزلت قضيتين– النفي والاثبات– في قضية واحدة ، لأن القصر(بإنما)هو: "إثبات للمذكور بالمنطوق ونفي لغيره بالمفهوم نحو: إنمّا زيد قائم، فإثبات القيام لزيد منطوق، ونفيه عن غيره مفهوم"[٢٣] ، وبذلك أصبح " الحجاج عنصراً دلالياً قد يظهر من خلال جملة أو نص خطاب أو سلوك غير لفظي ، ولكن ميزته هي ان المتكلم يقدمه من أجل خدمة عنصر دلالي آخر يستنتجه المخاطب ويتصرف وفق مقتضياته"[٢٤] مثال ذلك:

١–هوأخوك . } مجموعة أ
٢– إنما هو أخوك . } التأكيد على حق الأخوة
٣–هو صاحبك القديم. } مجموعة ب
٤–إنما هو صاحبك القديم. } التأكيد على حق الصداقة

ما نلحظه من الأمثلة في مجموعة (أ– ب) ، لم تختلف القوة الإبلاغية بين

المجموعتين ، إنما اختلفت القوة الحجاجية (٢-٤)، فالمتكلم ليس بصدد إثبات قضية (الأخوة ،والصداقة) ، في ذهن المتلقي ، لأن المتلقي ليس جاهلاً ، أو منكراً لهذه الحقيقة[٢٥] ، وإنما اراد المتكلم توجيه الادراكات المعرفية المفهومية للمتلقي في فهم سلوك غير لفظي من خلال العامل الحجاجي (إنما) ، فهو لم يقصر ويضيق ويوجه مفهوم الصداقة والأخوة عند المتلقي ،إنما وجهه إلى نتيجة –حق الاخوة والصداقة– وتفهم من خلال السياق والعادات المشتركة بين الطرفين ، التي اطلق عليها ديكرو تسمية موضع " فهي بمثابة المقدمات الثواني أو المعاني التي يركن إليها الخطيب وبدونها لا يستمد خطابه أي شرعية عند الجمهور... وعلاوة على وظيفتها البنيوية هذه أي الاستدلال الجدالي لها وظيفة معنوية مضمونية ... فهي القاسم المشترك من التقاليد والمنظومات والأفكار والمبادئ بين أفراد الأمة الواحدة"[٢٦]، هذا التفرد المعنوي ، والدقة في القصد الإبلاغية الحجاجي توصل إليه المتكلم من خلال تضمين خطابه للعامل الحجاجي (إنما)، إضافة إلى ما يتمتع به هذا العامل من اختزال المفهوم الدلالي والزمني الذي رفع من قدرته الحجاجية، مثال ذلك في الاختزال الدلالي قول:

– إنّما جاءني زيدٌ ـــــ النتيجة ـــــــ اثبات الفعل ونفيه عن غيره دفعة واحدة.

– جاءني زيد لا عمرو ـــــ النتيجة ـــــ إثبات المجي أولاً ، ثم نفيه ثانياً.

يرى عبد القاهر الجرجاني إن (إنما) تفيد ايجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة[٢٧]، ويعلق د. عز الدين ناجح على رؤية الجرجاني بقوله" ولو أخضعنا هذه الجملة لمقولة التوجيه في الحجاج مع ديكرو للاحظنا كيف أن (إنما) بإدخالها على النواة وجهت الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيقة فالجائي ... زيد وهذه النتيجة التي يروم الباث إيصالها للمتقبل"[٢٨]، بتكثيف لغوي ضمه العامل الحجاجي (إنما) ،لينتج لنا تكثيفاً دلالياً يتوصل إليه ذهن المتلقي من خلال إدراكه العقلي للمعنى الذي حمله العامل الحجاجي ، والذي قصد المتكلم ضمه في خطابه.

أما ما يخص الاختزال الزمني للعامل الحجاجي (إنما) ،يمكن لحاظه من خلال المقاطع الصوتية التي تركب منها هذا العامل بالمقارنة للمقاطع الصوتية لعوامل حجاجية أخرى ، أفادت وظيفة القصر التي جاءت بها (إنما)، فمن خلال نوع المقطع وخصائصه يمكن تحديد التكثيف الزمني له.

ما ... إلا ـــــ ما

إل لا

ص ح ح ص ح ص ص ح ح

مقطع طويل مفتوح مقطع قصير مغلق مقطع طويل مفتوح

إن ...إلا ـــــ إن إل

لا

ص ح ص ص ح ص ص ح

مقطع قصير مغلق مقطع قصير مغلق مقطع طويل مفتوح

إنّما ـــــ إن نَ

ما

ص ح ص ص ح ص ح ح

مقطع قصير مغلق مقطع قصير مفتوح مقطع طويل مفتوح

نلحظ التباين المقطعي الصوتي للعوامل الحجاجية القصرية ، بين التشابه والاختلاف ، إلا أن الاقتصاد الزمني بدا واضحاً في العامل الحجاجي (إنّما) ؛ لأن بنيته المقطعية الصوتية ضمت مقطعاً قصيراً، والمقطع القصير المفتوح الاستغراق الزمني له يكون أقل من غيره ؛كونه اشتمل على صامت واحد وصائت قصير ، والانتاج الزمني له يكون أقل من غيره من المقاطع.

الذي ذكرناه آنفاً يبين مدى اختلاف القدرة والقوة الحجاجية للعوامل ،ولكل منها ميزات انمازات بها، لكن تبقى ميزة مشتركة بينهم ، وأن اختلفت درجتها هي قدرتها على التخصيص وقصر وتوجيه النتيجة بوجهة واحدة.

ثانياً :العوامل المعجمية :

لم نجد باحثاً واحداً تطرق لهذا النوع من العوامل – إلاّ شكري المبخوت مقتصراً على الفعل كاد – وإنّما اكتفوا بذكرها من دون تحليل ،أو ذكر أمثلة تطبيقية تُبين فاعلية هذا النوع من العوامل من عدمه، وعليه سنُقدم تحليلاً ، وفق الفهم الذي قدمه ديكرو لها.

يذكرها ديكرو ويحدها بـ :ربمّا ،و قليلاً ، وكثيراً ، وكاد، قال شكري المبخوت: "إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية فإنها تبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو،

فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها ومن هذا النوع نجد: النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء. ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة، تؤثر في التعليق النحوي وتتوزع في مواضع متنوعة من الجملة، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها والأسوار (بعض، كلّ جميع) وما اتّصل بوظائف نحوية مخصوصة، كحروف التعليل أو ما تمحض لوظيفة من الوظائف قط وأبدا"[٢٩] ، يُشير مبخوت إلى نوعين من العوامل الحجاجية ، نوع يتعلق بالتركيب الجُمّلي ، وقد سبق ذكره، والنوع الثاني العوامل المعجمية التي نحن بصددها الآن.

قد جعل مبخوت من البنية اللغوية موجهاً رئيساً في استظهار قوة النص ، او الخطاب الحجاجي، الذي بدوره يكشف عن براعة المنشئ للنص وتمكنه من ادواته اللغوية ، وطريقة توظيفها لها؛ بتنوعها من اساليب ،وتراكيب ،وادوات، وعوامل ، وروابط، وعلاقات.

فالعوامل المعجمية :" مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة"[٣٠] ؛ ولكي نفهم طبيعة هذه العوامل ، ودورها في اضفاء قوة حجاجية للنص ، نُمثل لها بمجموعة من الأمثلة التطبيقية ، منها ما أورده المبخوت ، ومنها ما اخترته من القرآن ومن المدونة اللغوية العربية ، موظفة اياه وفق الفهم الذي قدمّه ديكرو لهذه العوامل ، مثل المبخوت للعامل كاد بقوله:

١- العامل (كاد)

*** كدت تصل متأخراً**[٣١]

هذا خطاب مفاده " أن المخاطب لم يصل متأخراً وهذا ما يعرفه المخاطب ، – أي أنه معلومة قديمة – ويعترف به ،أي لا ينازع المتكلم فيه"[٣٢]، وقد أحال إحالة غير مباشرة مفادها ، إنّك لم تصل متأخراً ؛ لكنك قاربت على ذلك ، إذن أنهض مبكراً في المرة القادمة، فكان من شأن العامل الحجاجي توجيه الخطاب نحو نتيجة واحدة مُضيق على المتلقي الاستلزامات الحوارية.

٢- العامل (رُبمَا)

أ – رُبَّما ينجح الكسول .

خطاب مفاده لن ينجح الكسول ، هذا ما يعرفه المخاطَب ، ولا يجادل أو ينازع المتكلم فيه ، ويحيل إلى إحالة غير مباشرة ، رُبمًا ينجح إذا أجتهد ، وجاء العامل رُبمَا حكاية لحال آتية ، وليس لبيان

حالة ماضية لدخوله على فعل مضارع ، وقيد اتجاه الخطاب نحو نتيجة واحدة .

ب – قال تعالى :{ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}[٣٣]

جاء العامل "رُبّمَا" في الخطاب الشريف موجهاً ومقيداً للنص نحو نتيجة واحدة ، هي بيان وحكاية حال الذين كفروا "على أن ودادتهم ودادة تمنّ ، وأنهم يتمنون الإسلام بالنسبة إلى ماضي حالهم مما فاتهم ،ولن يعود إليهم فليس إلا الإسلام ما داموا في الدنيا"[٣٤] ،وقد ظهرت قوة العامل الحجاجي "رُبّما " في تحديد وتوجيه المقول " لو كان الندم مشكوكاً فيه ، أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل ... فكيف وهم يودونه في كل ساعة"[٣٥]

٣– العامل: (قليلاً) .

لا تختلف القوة الحجاجية للعامل " قليلاً"، عن العوامل المعجمية التي ذكرناها، في حصر الخطاب وتقييده ، وتوجه المقول نحو إحالة غير مباشرة ، التي تكون مقيدة ومحصورة هي الأخرى، ونُمثل لدوره الحجاجي بالنصوص الشريفة الآتية:

أ– قال تعالى : { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ {٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ {٤٢ }[٣٦]

جاء الخطاب الشريف لنفي " إن القرآن نظماً ألَّفه شاعر، ولم يقل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– شعراً ولم يكن شاعراً ، ونفي أن يكون القرآن كهانة ، والنبي – صلى الله عليه وآله وسلم– كاهناً يأخذ القرآن من الجن وهم يُلقونه إليه"[٣٧] ، لذا وجب الإيمان به ؛ لكن من آمن به قليلاً ، وتفكر به ، لذا كُرر العامل الحجاجي" قليلاً" في النص الشريف لمرتين الذي لعب دوراً رئيساً في برفع قوته الحجاجية ، فهو رد على من قال بأن المجتمعات المشركة آمنت بمّا جاء به بالرسول وتفكرت ، فجاء العامل " قليلاً" مقيداً لهذا الرد ، " والقلة بمعنى العدم ، أي لا تؤمنون ، ولا تتذكرون البتة ، والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم"[٣٨] ، فما قدمه العامل " قليلاً" من حصر بدا واضحاً ، لذا جاء منصوباً مُقدماً على فعله .

ب– {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا}[٣٩]

جاء الخطاب الشريف في سياق تهديد للمشركين " والجمع بين توصيفهم

بالمكذبين ، وتوصيفهم بأولي النعمة للإشارة إلى علة ما يهددهم من العذاب"[٤٠] ؛ بسبب تكذبيهم للدعوة الالهية ، وجزاء التكذيب سلب النعم ، المتنعمين بها .

لُيطرح سؤلاً، متى تسلب النعم منهم ؟ فيأتي العامل الحجاجي " قليلاً" موجه القول بوجه واحدة ومقيده ،" أي زماناً قليلاً ،وهو مدة الحياة الدنيا ، وقيل : المدة الباقية إلى يوم بدر"[٤١]، وقد نُصب على الظرفية ، فالمهلة المعطاة لهم بالتمتع ضيقة ومحصورة ، ولا يُظن بها طول الأمل ، هذا التوجه القولي اضفاه العامل "قليلاً" على النص وضيق الاستلزامات الحوارية عند المتلقي بتنوع مرجعيتها .

٤- العامل (كثيراً) .

هو الأخر يعمل على تقيد النص ، وتضييق المعنى ، ولا يخفى على أحد قصدية المتكلم ، وهدفه من استعمال العوامل الحجاجية ، في خطابه الموجه للمتلقي ، ونُمثل في بيان فاعلية العامل "كثيراً" و وظيفيته الحجاجية بقوله تعالى :

أ- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ }[٤٢]

،فجاء العامل " كثيراً" محدداً نواة موضوع الخطاب الشريف في وجهة واحدة ، فموضوع الخطاب يتمحور بالحديث عن مفهوم الظن واجتنابه ، فهل الظن مُجتنب كله ؟ والإجابة : {كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ } يجب اجتنابه ، وتنكير كثيراً " ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل"[٤٣] فهناك ظن محمود ، وظن مجتنب ، وهذا القصر في النص وضحه العامل .

ب- { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ }[٤٤]

في هذا الخطاب الشريف توبيخ ، وتقريع، و حجاج واضح من الله سبحانه وتعالى إلى الذين اتبعوا الشيطان ، وقد ارتفعت القيمة الحجاجية للنص الشريف بدخول العامل " كثيرا" عليه ، فلماذا ذكر سبحانه وتعالى لفظ "كثيراً "مع لفظ "جِبلا" ، علماً بأن اللفظين يحملان معنى الكثرة ، فالجِبل يعني الخلق الكثير والجماعة[٤٥]، لكن سبحانه وتعالى أراد أن يحتج عليهم ، ويذكرهم بان الشيطان لم يضل خلقاً كثيراً قبلكم وحسب ، وإنمّا ، اضل كثرة كاثرة ، فكيف لكم أن تتبعوه.

فالعامل الحجاجي " كثيراً" اضفى قيمة حجاجية للنص الشريف ، ووجه المقول في وجهة واحدة ، حاصراً التأويلات ومقيدها .

ومن خلال هذا العرض للعوامل الحجاجية المعجمية ، يمكننا القول بأن القوة الحجاجية لهذه العوامل و وظيفتها في تقيد المعنى وتضييقه ، لم تختلف عن العوامل الأخرى ، في رفع القيمة الحجاجية للنص.

الخاتمــة

١-لكل لغة جانب حجاجي وإبلاغي يعتمد عليه المتكلم في إيصال حجته معتمداً على مجموعة من الروابط والادوات.

٢- اختلاف القوة الحجاجية التوجيهية بين العوامل القصرية.

٣-عملَ العامل الحجاجي على تحديد الرتبة الحجاجية للملفوظ داخل سياق الخطاب ، الذي بدوره حدد قوة الحجية له.

٤-النضوج الفكري المتقدم للمدونة العربية لمفهوم حجاجية اللغة على نظريها من الدراسات الغربية ، وهذا ما لحضناه في دراسات ديكرو للعامل الحجاجي (لا).

٥-التفرد الابلاغي ، والاقتصار الزمني والدلالي للعامل الحجاجي (إنّما).

٦-إن القوة الحجاجية لهذه العوامل و وظيفتها في تقيد المعنى وتضييقه ، لم تختلف عن العوامل الأخرى ، في رفع القيمة الحجاجية للنص.

الهوامش

[١] : الحجاج في مدونة نقد الشعر في القرن الرابع الهجري : لؤي كريم عطية :المقدمة أ

[٢] : ينظر : الحجاج في القرآن : عبدالله صولة:٤٠

[٣] : ينظر : الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية : عبد العزيز لحويدق : ١/ ٨٦١ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.

[٤] : ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية : عز الدين الناجح:٣٥.

[٥] : ينظر : المصدر نفسه: ١٦-١٧.

[٦] : ينظر : المصدر نفسه: ٣٣.

[٧] : محاضرات في تحليل الخطاب ، قدور عمران ، ٨٤.

[٨] : ينظر :اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي: ٢٧.

[٩] : القاموس الموسوعي للتداولية : جاك موشلر و آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين بإشراف : عز الدين الجدوب:٣٣٧.

[١٠] : ينظر : الحجاج اللساني وآليات في نص الخطبة ، دراسة لنماذج مختارة : فاتن جغلاف : ٦٨.

[١١] : ينظر : معاني النحو : فاضل السامرائي :٣١١/٣.

[١٢] : ينظر : العوامل الحجاجية :٥٠.

[١٣] : دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني: ٣٣٥.

[١٤] ينظر : المصدر نفسه: ٣٣٦

[١٥] : ينظر : العوامل الحجاجية : ٥٠ .

[١٦] : دلائل الاعجاز : ١٢٦.

[١٧] : ينظر: العوامل الحجاجية:٥٠.

[١٨] : ينظر : البلاغة العربية فنونها وأفنانها : فضل حسن : ٣٦٤.

[١٩] : ينظر : دلائل الإعجاز : ٣٣٧.

[٢٠] : ينظر : المصدر نفسه:٣٤٠.

[٢١] : اسلوبية الحجاج التداولي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : مثنى كاظم صادق:١٠٢.

[٢٢] : العوامل الحجاجية في شعر البردوني: د. الطاف الشامي:٤٤٥.

[٢٣] : عروس الافراح (ضمن شروح التلخيص): السبكي: ٢٠٥/٢.

[٢٤] : الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله:د. رضوان الرقبي :١١٠

[٢٥] : ينظر : دلائل الاعجاز: ٣٣٠.

[٢٦] : العوامل الحجاجية: ٨٢-٨٣.

[٢٧] : ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٣٥.

[٢٨] : العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٥٤.

[٢٩] : نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ،٣٧٧، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم

[٣٠] : الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، أ.يعمرانن نعيمة ، ٥.

[٣١] : نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ،٣٧٤، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .

[٣٢] : المصدر والصفحة نفسها.

[٣٣] : الحجر ،٢ .

[٣٤] : تفسير الميزان ، الطباطبائي ، ٩٥/١٢.

[٣٥] : تفسير الكشاف ، الزمخشري، ٥٥٨.

[٣٦] : الحاقة ، ٤٢.

[٣٧] : الميزان ، ١٩/ ٤٢١.

[٣٨] : الكشاف ، ١١٣٧.

[٣٩] : المزمل ، ١١.

[٤٠] : الميزان ، ٢٠/ ٧٣.

[٤١] : تفسير روح المعاني ،١ الالوسي ،٥/ ١٥٤.

[٤٢] : الحجرات ،١٢.

[٤٣] : تفسير روح المعاني ، الالوسي، ٤١٨/١٣.

[٤٤] :يس ، ٦٢.

[٤٥] : ينظر : مجمع البيان لعلوم القرآن ، الطبرسي ،٣١٢/٨.

المصادر:

- القرآن الكريم
- الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله: د. رضوان الرقبي ، عالم الفكر ، مج ٤٠، العدد٢، ٢٠١١م.
- الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية : عبد العزيز لحويدق : ١/ ٨٦١ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
- اسلوبية الحجاج التداولي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط١، ٢٠١٥م.
- البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني): فضل حسن ، سلسلة بلاغتنا ولغتنا، دار الفرقان ، ط٤، ١٩٩٧م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة- بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية :د. عبدالله صولة، دار الفارابي ،بيروت ، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الحجاج في مدونة نقد الشعر في القرن الرابع الهجري : لؤي كريم عطية ، اطروحة دكتوراه، جامعة القادسية – كلية التربية ، ٢٠١٨م.
- الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، أ.يعمرانن نعيمة، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/65725
- الحجاج اللساني وآلياته في نص الخطبة ، دراسة لنماذج مختارة : فاتن جغلاف ، رسالة ماجستير ، ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر،٢٠١٦ م.
- دلائل الاعجاز : تأليف الشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليها محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرن العظيم والسبع المثاني ، العلامة أبي الفضل شهاب الدين الالوسي ، تح : السيد محمد السيد ، سيد ابراهيم عمران ،دار الحديث ، القاهرة.
- عروس الافراح (ضمن شروح التلخيص): السبكي، وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

- العوامل الحجاجية في اللغة العربية : عز الدين الناجح: الناشر: مكتبة علاء الدين ، المطبعة : دار النهى– صفقاس، الطبعة الاولى ٢٠١١م.
- العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي انموذجاً): د. الطاف الشامي: مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد العدد(٤٣) الجزء الاول، أيلول ٢٠١٥م.
- القاموس الموسوعي للتداولية : جاك موشلر و آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين بإشراف : عز الدين الجدوب، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ط٢، ٢٠١٠م.
- اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي،العمدة في الطبع الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٦م.
- محاضرات في تحليل الخطاب ، قدور عمران،المدرسة العليا للأساتذة في الأداب والعلوم الإنسانية ، بوزيعة ، الجزائر ، مصلحة التكوين عن بعد .
- معاني النحو : فاضل صالح السامرائي، الناشر ، شركة العاتك ، القاهرة – درب الاتراك
- مجمع البيان لعلوم القرآن ، الامام السعيد ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، مطبعة رويال كرافك ،١٩٧٥م.
- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، صححه واشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٧م.
- نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية ، تونس ١، كلية الآداب منوبة ، إشراف حمادي صمود